# العمارة الدّفاعية الرّومانية والبيزنطية في منطقة بلاد المغرب القديم (دراسة مقارنة)

**دة./ كابلي فاطمة**
**أستاذ محاضرة– ب**
**جامعة مولود معمري تيزي وزو**
**kablifatma84@gmail.com**

**الملخص:**

مثلت العمارة الدفاعية معلما وصرحا عسكريا تميزت بنوع من التشكيل الوظيفي، بهدف تحقيق متطلبات معينة، من خلال وسائل مادية وبشرية، هذا وتخضع العمارة لشتى المؤثرات بما فيها الظروف الطبيعية.

ونظرا لتعرض منطقة بلاد المغرب لاحتلال البيزنطي فقد سعى إلى التفكير في كيفية الحفاظ على ما تم السيطرة عليه، وفق سياسة حكيمة تمثلت في إحاطة ممتلكاتهم بسلسلة من المنشآت الدفاعية من خلال اتخاذ سلسلة من التدابير الملائمة. ومن هنا نحاول معالجة الموضوع من خلال طرح الإشكالية التالية: فيما تتمثل أنماط العمارة الدفاعية البيزنطية في منطقة بلاد المغرب القديم؟ والتي سنجيب عنها من خلال النقاط التالية:

– السياسة الدفاعية البيزنطية، وأهمّ ركائزها.

– الاستحكامات العسكرية البيزنطية في منطقة بلاد المغرب القديم.

**الكلمات المفتاحية:** بيزنطة؛ الاستحكامات العسكرية؛ بلاد المغرب القديم.

**Byzantine military fortification in the old Maghreb region (defense architecture).**

**Astract**:

Defense architecture was a landmark and a military edifice characterized by a functional composition to achieve certain requirements through physical and human means. Architecture is subject to various influences, including natural conditions.

Due to the exposure of the Maghreb region to the Byzantine his occupation was thinking about how to maintain control through a wise policy of surrouning their property whith a series of military fortification throught a set of forward the following problem: what are the patterns of and Byzantine defensive architecture in the old Maghreb? We will answer the problem through the following points:

- Byzantine defense policy and its main pillars.
- the Byzantine occupation affected the area's military fortification.

**Keywords**: byzantine; military fortification; old Maghreb.

عرفت منطقة بلاد المغرب القديم توافد وتعاقب عديد الحضارات بدئا بالفينيقيين إلى الاحتلال الروماني، وبعده الوندالي والبيزنطي.....، وبهذا شكلت المنطقة محطة جذب سعى من خلالها كل طرف أجنبي للاعتماد على مجموعة من الاستراتيجيات والخطط التي ستضمن له النّجاح، وبسط النفوذ فيها، خصوصا بالاعتماد على الاستراتيجية العسكرية، بداية بتهيئة الجيوش، وصولا إلى تحصين مناطق النفوذ، وكذا التوسع بالاستعانة بمنشآت دفاعية من شأنها الحفاظ على ما تمّ الاستحواذ عليه، وكذا ضمان الاستمرار والبقاء ومن هنا انصبت دراستنا على دراسة الاستحكامات العسكرية البيزنطية في منطقة بلاد المغرب القديم.

– ومنه فيمكن تحديد الإطار المكاني بمنطقة بلاد المغرب القديم التي تمتد من الحدود المصرية شرقا، إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، أما الإطار الزمني فيشمل القرن السادس ميلادي، وبالتحديد ما بين 533م إلى 647م.

– تكمن أهمية الموضوع في كونه من المواضيع التي تهدف إلى محاولة الوصول إلى دراسة الاستحكامات العسكرية، بالرغم من صعوبة المهمة، حيث أنه من الصعب الحكم على هذه المنشآت وإرجاعها إلى فترتها الاصلية دون التعمق في البحث فيها. ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية: فيما تتمثل أنماط العمارة الدفاعية البيزنطية في منطقة بلاد المغرب القديم؟ والتي تتفرع منها مجموعة من التساؤلات الفرعية وتتمثّل في:

– السياسة الدفاعية البيزنطية، وأهم ركائزها.

– أنماط العمارة الدفاعية البزنطية في منطقة المغرب القديم.

– الاستحكامات العسكرية البيزنطية في منطقة بلاد المغرب القديم.

**أولا- السياسة الدّفاعية البيزنطية وأهم ركائزها:**

**1- الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم:**

لقد أخذ الاحتلال البيزنطي للمنطقة نوعا من التحدي، فرغم معارضة الجميع بخصوص هذه الحملة[1] إلاّ أنّ جوستنيان[2] ظل مصرا، كلف بليزاريوس بقيادة الحملة بمساعدة يوحنا الإرميني على رأس جيش مكون من 10 آلاف جندي من المشاة، و5 آلاف فارس، إضافة إلى 600 جندي من القوات المتحالفة بما فيها قبائل الهون[3]، على متن 500 سفينة، يدفعها 30 ألف جذاف، تحت حراسة 92 سفينة شراعية مقاتلة يدفعها 2000 جذاف[4]، هذا وقد رافق الحملة كل من بروكوبيوس[5]، وزوجة جوستنيان (أنطونينا)، انطلقت الحملة من القسطنطينية بداية من 533م، ووصلت سواحل إفريقيا في سبتمبر من نفس السنة، وقد نزلوا في رأس كابوديا على بعد 60 كلم جنوب منطقة سوسة، على مسافة 5 أيام على الأقدام من قرطاجة، وقد بدأوا حملتهم بكل أريحية مستغلين انشغال الجيوش الوندالية في إخماد ثورة يوداس في جبال الأوراس[6]، وفعلا أخذت القوات البيزنطية تستولي على عديد المدن منها مدينة سيليكتا دون أية مقاومة، وواصل الجيش تحركه شمالا، ودخلوا لبدة الصغرى، حضر موت حتى وصلوا إلى المكان المسمى غراس (سيدي خليفة حاليا) حيث وقع صدام بين الطرفين، أوحى ببداية حرب بينهما[7]،

---

1- لعلّ المعارضة راجعة لأحداث سابقة مرتبطة بانتكاسات ترتبت عن محاولات الإمبراطور ماجوريان التي انجر عنها حرق أسطوله سنة 460م، إلى جانب تحطم أسطول الإمبراطور ليون الثاني عام 468م على أبواب قرطاجة. ينظر: دريسي سليم، **البيزنطيون في شمال إفريقيا – الاحتلال والعمارة الدفاعية**، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، إشراف أ. د. محمد البشير شنيتي، الجزائر، 2007-2008، ص. 59، كريم مناصر، "**الحملة البيزنطية على مملكة الوندال بشمال إفريقيا 533- 535**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 22، جامعة لونيسي علي، البليدة، ص. 17.

2- **جوستنيان:** هو شخصية تاريخية نادرة، اعتبر نفسه امتدادا لأباطرة روما الوثنية من جهة ، كما كان ضليعا في القانون والاهوت من جهة أخرى، صمد حكمه بفضل زوجته تيودورا التي ارتقت إلى العرش بعدما كانت مجرد راقصة، اتبع سياسة داخلية وخارجية بهدف الحفاظ على الإمبراطورية. ينظر: بروكوبيوس، -**التاريخ السري-القرن السادس ميلادي، جانب من جوانب الإمبراطور جوستنيان، وزوجته تيودورا، وقائده المغوار بليزاريوس، وزوجته أنطونينا، صورة سيئة**، تر. صبري أبو الخير سليم، ط. 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001، ص. ص. 3- 5.

3- **قبائل الهون:** هي قبائل همجية تركية الأصل، وهم من القبائل المغولية أتوا من بلاد الصين تحت وطأة الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، عبروا الجبال والبحر الأسود ، وساروا بمحاذاة الأراضي البيزنطية. ينظر: بروكوبيوس، المصدر السابق، ص. 49.

4- Procope de Césarée, **la guerre contre les vandales, guerres de justinien**, liv. III, IV, traduit et commenté par de Roques (d), paris, 1990, I-X, 1- 21.

5- **بروكوبيوس:** كان قريبا من الإمبراطور بحكم وظيفته في البلاط، استطاع الاطلاع على السجلات الرسمية، ولكونه صديقا ومستشارا للقائد البيزنطي بليزاريوس فقد رافقه في العديد من الحملات؛ ينظر: بروكوبيوس، المصدر السابق، ص. ص. 6- 7.

6- Procope, I-XI, 8- 10.

7- مفتاح محمد التاجوري، **التاريخ السياسي والاقتصادي لشمال إفريقيا أثناء حكم الإمبراطور جوستنيان 528-565م**، بحث مقدم إستكمالا لمتطلبات الإجازة العالية ( ماجستير) في التاريخ القديم، إشراف أحمد محمد أنديشة، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، قسم التاريخ، ليبيا، 2007، ص. ص. 88- 90.

وفعلا التقى الخصمان في مناسبتين من خلال معركة أديكموم[1] (ينظر شكل 01) في 13 سبتمبر عام 533م، تمكن بليزاريوس من دخول قرطاجة في 15 سبتمبر 533م ليجلس على عرش جليمار[2] باسم الإمبراطور جوستنيان، ويضع القدم الأولى لاسترجاع إفريقيا إلى لممتلكات الإمبراطورية الرومانية[3]. أمّا المعركة الثانية فتمثلت في تريكاماروم شتاء عام 533م (ينظر شكل 2) التي أسفرت عن مقتل ترازون مما أدّى إلى تراجع الجيش الوندالي، كما سلم جليمار نفسه، وهذا يمثل بمثابة إعلان صريح عن سقوط الدولة الوندالية ، ومنه أضحت بلاد المغرب مقاطعة بيزنطية[4].

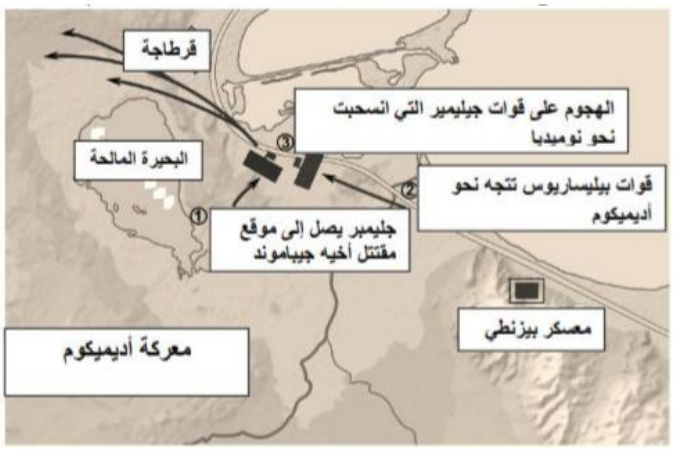


**شكل1: معركة أديكيموم.عن مناصر(ك)، المرجع السابق، ص. 21**

**شكل2: معركة تريكاماروم.عن مناصر(ك)، المرجع السابق، ص. 23**

---

1- **أديكموم:** هو مضيق سيدي فتح الله الواقع على بعد 15 كلم في الجنوب الغربي من العاصمة تونس. ينظر: مفتاح محمد التاجوري، المرجع السابق، ص. 91.

2- **جليمار:** ينحدر من أسرة جيزريك ، فهو ابن قيلاريس ابن جنزون، يأتي في المرتبة الثانية بعد هيلدريك لتولي العرش الوندالي .ينظر: مفتاح محمد التاجوري، المرجع السابق، ص. 64.

3 – دريسي سليم، البيزنطيون ....، المرجع السابق، ص. 64.

4- نفسه، ص. ص. 65- 66.

2- **أهم ركائزها:** حفاظا على المكاسب المحققة سعى الاحتلال البيزنطي إلى الاستعانة بمنظومة دفاعية عرفت بالليمس[1].

وقد حاولت الإدارة البيزنطية منذ السنوات الأولى لها في شمال إفريقيا تطوير النظم الدفاعية التي من شأنها أن تؤمن وجودها، وتعمل على استقرارها السياسي والاقتصادي[2]، لذا عملوا على إحاطة ممتلكاتهم بسلسلة من المنشآت الدفاعية، وقد بدأت عملية البناء والتشييد زمن صولومون، إلاّ أنّ فترة جوستنيان هي الأهم، بحكم كون أن أغلب المنشآت الدفاعية تعود إلى فترة حكمه[3] (ينظر شكل 3) هذا، وقد عملت بيزنطة على الشروع في البحث عن الشروط الملائمة للإنجاح المنظومة الدفاعية من خلال التركيز على المواقع الملائمة لتسهيل السيطرة على المجال المحيط بالمدن من خلال المواقع المرتفعة، وذلك ضمانا للتوزيع الجيد، وتوفير الجهد والمال، إلى جانب الاعتماد على العديد من التحصينات كالأسوار والأبراج[4]. وقد تمّ التعرف على النظم الدفاعية بفضل النصوص والنقوش ومحاولة إتباع اتجاه الحدود[5].

**شكل رقم 03: المنشآت العسكرية لفترة الإمبراطور جوستيان،**

**عن: دريسي (س.) المرجع السابق، ص. 190.**

---

1- **الليمس:** عبارة عن جهاز دفاعي يشكل نحو الخارج إما بمجموعة من العراقيل الطبيعية، كما يتشكل من المعسكرات، الأسوار، الخنادق...تربط بعضها البعض بواسطة شبكة هائلة من الطرق الرئيسية والفرعية. ينظر:

2- Le Bohec (Y.), **«frontières et limites militaire de la Maurétanie Césarienne sous le haut empire, frontières et limites géographiques de l'Afrique du nord»**, études réunies par Claude Lepelley, Xavier Dupuis, publication de la Sorbonne, Paris, 1999, p. 113.

3 – مفتاح محمد التاجوري، المرجع السابق، ص. 193.

4- دريسي سليم، المرجع السابق، ص. ص. 183- 184.

4- نفسه، ص. ص. 252- 254، 259.

5- Diehl (CH), **l'Afrique byzantine, histoire de la domination byzantine en Afrique 533- 709 ,** Ernest Leroux éditeur, paris, 1996, p 226.

**ثانيا: أنماط العمارة الدفاعية لإفريقيا البيزنطية:** يبدو جليا أنّ البيزنطيين قد اعتمدوا على العادات العسكرية الرومانية في البناء، مما جعلها توصف بالعمارة غير الراقية[1] وأنّها عبارة عن مخلفات معمارية للعمارة الرومانية، من خلال الاعتماد على طريقة بناء متمثلة في الكتل الصخرية الضخمة على واجهتي الأسوار، وملئ الفراغات بينها بالحجارة الصغيرة[2]. هذا، وقد وزعت أنماط العمارة الدفاعية البيزنطية على النحو التالي:

**1- إقليم طرابلس:** اقتصر الوجود البيزنطي على الساحل، وقد حصنت كل من لبدة، صبراتة، طرابلس، قابس، وهذا راجع إلى تراجع الليمس أواخر الفترة الرومانية[3]،حيث أن الحدود الأمامية الدفاعية لمنطقة بونجيم، القريات، وغدامس كان الرومان قد تخلوا عنها بعد سنة 259م بقليل[4]. (ينظر شكل 4).

الخطوط الدفاعية في مقاطعة الطرابلسية.

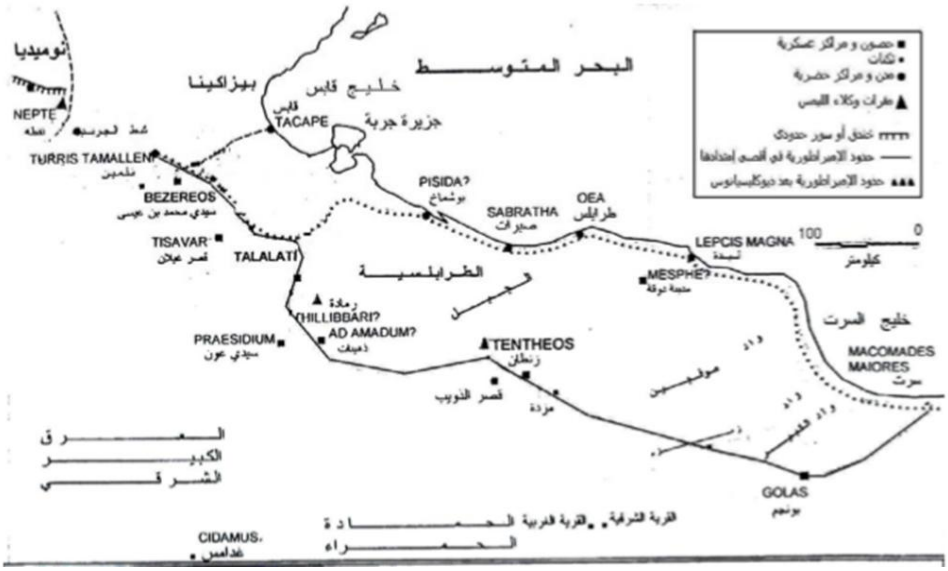


**شكل رقم 04: الخطوط الدّفاعية في المقاطعة الطرابلسية.**

**عن: دريسي (س.)، المرجع السابق، ص. 28.**

**2- مقاطعة بيزاكينا:** لقد عليها عديد التحصينات، ربطت بينها بشبكة طرق كثيفة منها الطريق الرابط بين قابس وقفصة، وقفصة تيلبت الذي يمرّ عبر نقطتين سواء عبر المرور من منطقة بيرام علي، أو تامسميدة، أقيمت فيها عديد القلاع التي شيدت من قبل جوستنيان، والتي هدف من خلالها الصد لتوغلات القبائل المورية منها قلعة حيدرة [5]، (ينظر شكل 5) إلى جانب قلعة سبيبة، ممس وجلولاء[6].

3-Gsell( S), les monuments antiques de l'Algérie , tome 2, Albert fonte oing éditeurs, paris, 1901, p 354.
2- ibid

3- مفتاح محمد التاجوري، المرجع السابق، ص. 203.

4- DIEHL (ch), op .cit, p p 232- 235.

5 – مفتاح محمد التاجوري، المرجع السابق، ص. 204.

6- دريسي (س)، المرجع السابق، ص. ص. 226- 227.

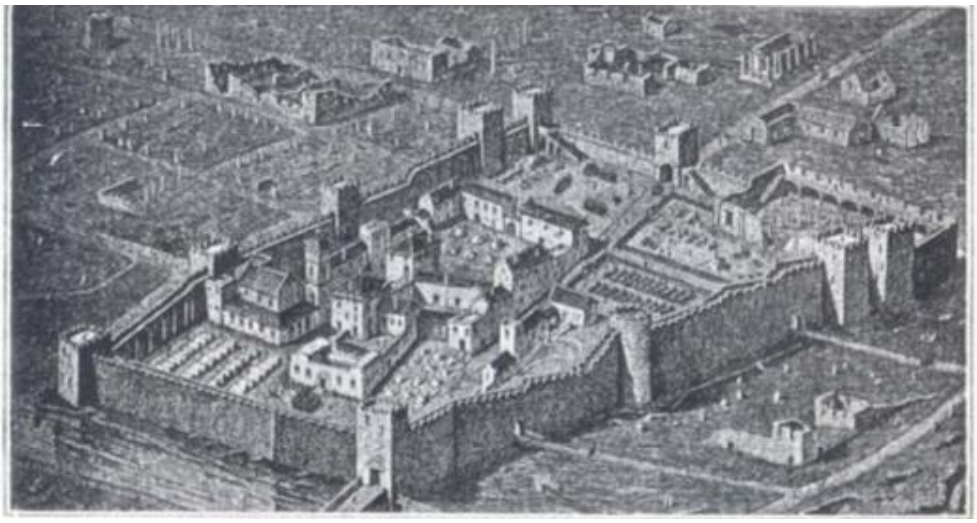

**شكل 05: إعادة تشكيل لقلعة حيدرة.**

**عن: دريسي (س)، المرجع السابق، ص. 266.**

3- **مقاطعة نوميديا:** ارتبطت هذه المقاطعة بالثورات، أقيمت فيها طريقان أساسيان: الأول قادم من تيفست، ويتجه نحو سيرتا، ويمرّ بسطيف، وبالتالي يشمل الأوراس، والقادم من تبسة نحو تيمقاد[1]، إلى جانب طريق قفصة وقد امتدّ إلى غاية لمبيز عبر ماسكولة و تاموقادي لتأمين الجنوب[2].

كما أقاموا فيها العديد من القلاع محاطة بأبراج مراقبة للحد من المرور إلى المنطقة[3]، فضلا عن الحصون منها حصن قصر الكلب، مسكولا، الزاب، تيمقاد، ولمبيز[4].

4- **مقاطعة موريطانيا السطايفية:** لم تدم السيطرة البيزنطية عليها طويلا حيث تراجعت حدودها في أواسط القرن 6م.، واندمج ما تبقى من الأراضي الشرقية للمقاطعة، ومن بينها سطيف إلى ممتلكات نوميديا، اعتمد النظام الدفاعي بالاكتفاء ببعض المراكز، وهي على مقربة بالإمارات المورية المتمركزة بموريطانيا القيصرية[5]. هذا وقد وجدت بعض التحصينات البيزنطية في هذه المقاطعة من خلال الحصون الحصون الثمانية الرباعية الزوايا، وعديد القلاع التي تعود لفترة حكم جوستنيان[6].

5- **مقاطعة موريطانيا القيصرية:** تمركزت مواقعها الدفاعية في الموانئ الساحلية في كلّ من رأس ماتيفو، مدينة الجزائر، تيبازة، تنس، شرشال التي تم إعادة بناء أسوار مدينتها زمن جوستنيان، وهذا

1- DIEHL (ch), op.cit, p. 237.
2- ibid.
3- diehl, op.cit, pp. 239- 253.

4- مفتاح محمد التاجوري، المرجع السابق، ص. 204.

5- دريسي ( س)، المرجع السابق، ص. 234.

6- Diehl, op.cit, p. 256.

نتيجة غارات القبائل الموريةّ[1] (ينظر شكل 6) في حين ذكر وجود آثار لقلعة في سبتة بالنّسبة لموريطانيا الطنجية[2].

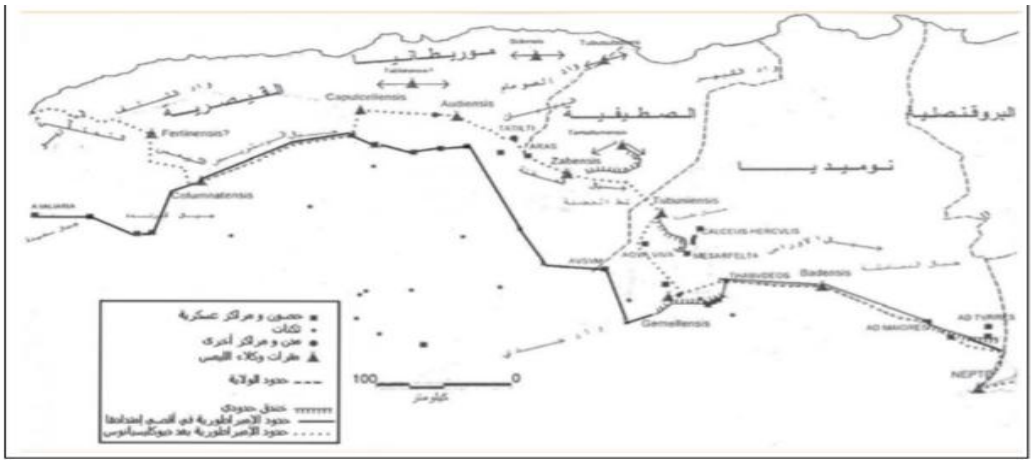


**شكل رقم 06: الخطوط الدفاعية في نوميديا، وموريطانيا السطايفية والقيصرية.**

**عن: دريسي (س.)، المرجع السابق، ص. 24.**

**ثالثا– الاستحكامات العسكرية البيزنطية في منطقة بلاد المغرب القديم:**

1– **المدن المحصنة:** توجد حوالي 17 مدينة يمكن اعتبارها من المدن المحصنة، تتجاوز مساحتها 3 هـ، تقسم على الشّكل التالي:

– قرطاجة بـ 390 هـ، شرشال بـ 370هـ.

– المدن التي تتراوح مساحتها ما بين 25–50هـ، وهي طرابلس، سوسة، قسنطينة، للبدة، وصبراتة (28هـ).

–المدن التي تقدر مساحتها ما بين 3– 10هـ، ويمكن الوقوف على حوالي 12 مدينة، أهمّها بغاي، تبسة، برج هلال، وزيامة منصورية[3].

2– **الحصون الكبيرة:** أقيمت لحراسة المدن المفتوحة[4]، تتراوح مساحتها ما بين 1.5– 3هـ[5]، يغلب عليها الشكل المستطيل في حالة توفر الظروف الطبيعية الملائمة، تحتوي على أبراج في الزوايا، مع برج وسط في كل جهة، منها قصر بلازما، تامالولا (ينظر شكل 7)، طبنة، وتيمقاد[6].

1– محمد مفتاح التاجوري، المرجع السابق، ص. 204.

2– نفسه، ص. 205.

3– أعشي (م)، المرجع السابق، ص. ص. 392– 393.

4 - Diehl (CH), op.cit, p 196

5- Duvale (N), **l'état actuel des recherche sur les fortifications de Justien en Afrique**, 1983, p. 187.

6– عيش (ي)، المرجع السابق، ص. 393.

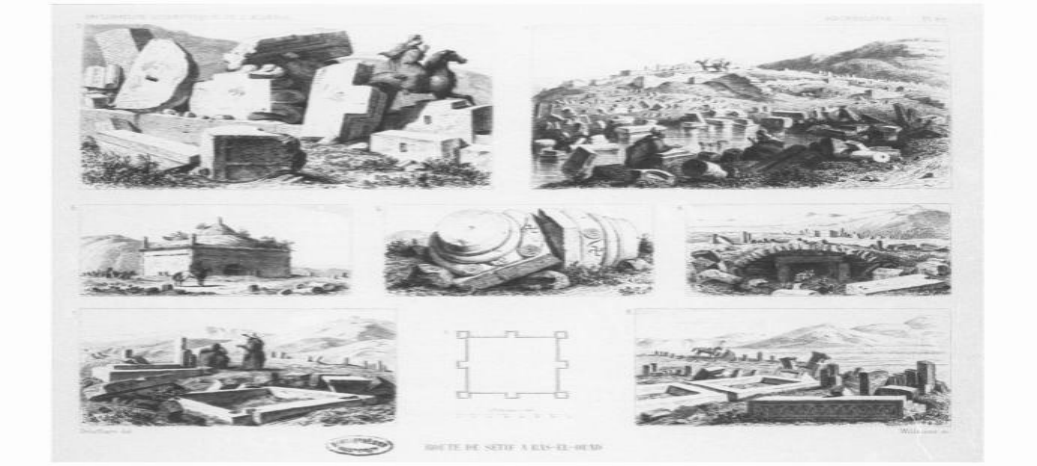

**الشكل 07: يمثل البقايا الأثرية لموقع تامالولا وفق وصف دو لامار.**

Delamare Ad.H, exploration scientifique de l'Algérie pendant les année 1840- 1445, impremerie nationale, paris, 1850, PL 67, fig:1- 7

**3- القلاع:** توجد حوالي 8 مواقع أثرية تمثل تحصينات بمساحة تقدر ب 1.5- 3هـ، منها قلعة قالمة، قلعة سيدي يحي بالقرب من صبراتة، فضلا عنم القلاع المستطيلة الموجودة بكل من سطيف (ينظر شكل 8)، التي تقدر بـ 1.69هـ، وسبيبة بـ 1.09هـ، إلى جانب وجود قلاع غير منتظمة خاضعة لطبيعة المنطقة.

**شكل 08: مخطط للقلعة البيزنطية في موقع سطيفيس حسب وصف دولامار.**

Delamare AD.H, exploration….,pl. 69, fig 1 -2.

4- **الأسوار:** هو من التّحكيمات التي تلعب دور الحاجز لإحاطة مدينة أو قلعة ما، تبنى الأسوار بعناية، تتوسطها من كل الجهات أبراج دائرية، أو مربعة الشكل تعلوا الأسوار، وكلّ سور يعلوا على الآخر حتى يتسنى للجند إطلاق القذائف دون تعرض الجنود الآخرين في الأسوار الأمامية للخطر[1]. هذا ويتكوّن السور من طابقين ولكل منها وظيفة، الأول: عبارة عن منصة رمي كوات، تقذف من خلالها السهام، أمّا

1- دريسي (س.)، المرجع السابق، ص. 247.

الثاني: يأتي إلى الأعلى من الطابق الأول، يحتوي على ممرّات للحراسة، يستعمله الجند للتنقل أثناء الحراسة، وإلى الأعلى من هذا الطابق نجد شرفات تصل بين الأبراج[1]. (ينظر شكل 09).

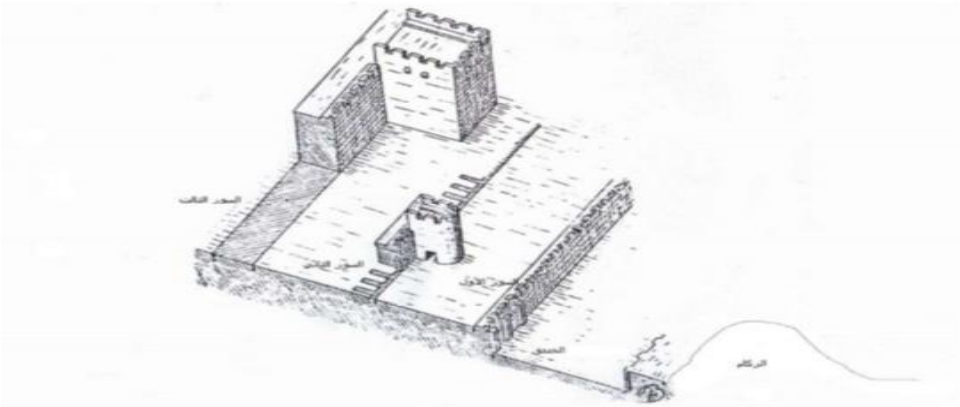

**شكل رقم 09: نموذج لأسوار البيزنطية.**

**عن: دريسي (س.)، المرجع السابق، ص. 247.**

***الخنادق:** تعدّ هي الأخرى ضمن التحكيمات العسكرية، تحيط بالأسوار، وهي عنصر فعال ومكمّل لكلّ الأنماط الأخرى، اتّخذت كحواجز فاصلة بين مدينة وأخرى، تمثّل أخدود اصطناعي يحيط بمدينة أو قلعة معينة، وغالبا ما تكون مملوءة بالمياه، وبالتّالي فإنّ استعمالها يتعدّى الجانب العسكري (الرّي)، وبالتالي فهي بمثابة حواجز منيعة[2].

**رابعا- الاستحكامات العسكرية البيزنطية نماذج مختارة:**

**1- رأس الوادي تامالولا:**

**أ- الموقع:**

امتدّ على المرتفعات الشمالية المحاذية لجبال الحضنة، يشرف على سهول مجانة، وبذلك فهو يتوسط الطريق بين زابي ومجانة بحوالي 45 كلم، لات لا يبعد عن مدينة رأس الوادي إلاّ بـ 1 كلم، شيّد على هضبة بالقرب من نبع مائي.

**ب- الشكل العام والابعاد:**

يبدو أن الحصن قد شيّد على هضبة مرتفعة، يتميّز بشكله المربع 105x105م، دعم بـ 8 أبراج رباعية الشكل بمتوسط 10متر مربع. إنّ طريقة البناء المسجلة تكرس نفس المواصفات البيزنطية المعروفة في القلاع الأخرى بسمك يقد ر بـ 2.5م، وقد استعملت عديد المخلفات الخاصة بالعهود القديمة[3].

1- Diehl ( CH.), Op. Cit., p. 146.
2- Ibid, p. 145- 146.

3- عيبش (ي.)، المرجع السابق، ص. ص. 322- 323.

2- **سطيفيس:**

أ- **الموقع:**

كانت مدينة سطيف عبارة عن مجمع سكني تقع غرب السهول العليا على بعد 130كلم من مدينة قسنطينة، وعند مدخل موريطانيا، أنشأ بها الامبراطور نيرفا 96- 98م مستعمرة سكنها جنود متعاقدون، أصبحت في بداية القرن الرابع عاصمة للمقاطعة الجديدة موريطانيا السطايفية، كان يحميها سور طوله 5كلم، استعادها البيزنطيون من الوندال في 540م، وحصّنت بسور، كما أنشأت بها قلعة بيزنطية من طرف سولومون[1].

**ب- الشكل العام والأبعاد:**

أهمّ المنشآت توجد قلعة مستطيلة الشّكل مساحتها 158x107م، (حوالي 1.69هـ)، مدعّمة بـ11 برجا مستطيلا، يبدو أنّها شيدت في حدود 540م على جانب الساحة العمومية القديمة[2].

**ملاحظات عامة:**

- لقد حاولت الإدارة البيزنطية منذ السنوات الأولى للاحتلال تطوير النظم الدفاعية التي من شأنها أن تؤمن وجودها، وتعمل على استقرارها السياسي والاقتصادي، وقد اعتمد النظام الدفاعي لها على دعامتين أساسيتان تتمثلان في المؤسسة العسكرية من خلال الجيش، وكذا التحصينات العسكرية.

-لا شك أن العامل الاقتصادي من أهم العوامل التي دفعت بيزنطة لاحتلال المنطقة، بحكم الموقع الجغرافي وإمكانيات المنطقة، وقد حرصت على الحفاظ عليها من خلال إقامة المنشآت الدفاعية.

- إنّ السّيطرة البيزنطية لم تكن كاملة على المنطقة، حتى وإن شمل نفوذهم الساحل الشمالي من طرابلس شرقا حتى طنجة. إلا أنه كان هشا، أما في الجنوب فلم يتعدى الاحتلال البيزنطي نصف امتداد إفريقيا الرومانية، كما أن أغلب المنشآت الدفاعية قد اقتصرت على الجهة الشرقية من المغرب القديم خصوصا في البروقنصلية، بيزاكينا، نوميديا، إلى جانب بعض المواقع في المقاطعات الطرابلسية، وموريطانيا السطايفية، والقيصرية، هذا ما يفسّر التّمركز البيزنطي الذي شمل فقط مناطق النفوذ الوندالي[3]. ويتجلّى هذا من خلال المرسوم الذي أصدره جوستنيان في 13 أفريل 534م إلاّ أنّ عديد المناطق المذكورة في نص المرسوم خارج النفوذ البيزنطي سواء في موريطانيا الطنجية، أو في معظم موريطانيا القيصرية التي لا يملكون فيها سوى قيصرية (شرشال)، وإيجيجلي وصلداي بالنسبة لموريطانيا السطايفية، وهو تأكيد على عدم الاهتمام بالوضع الحقيقي للاحتلال[4]. وبهذا فإن حلم جوستنيان في إعادة كلّ المقاطعات

---

1- عمروس (ف.)، الأضرحة الجنائزية الرومانية بالجزائر، دراسة معمارية وفنية، أطروحة لنيل شهادة دوكتوراه في الآثار القديمة، إشراف أ. د. مصطفى فيلاح، الجزائر، 2009- 2010، ص. 319.

2- عيبش (ي)، المرجع السابق، ص. ص. 332- 335.

3- دريسي (س)، المرجع السابق، ص. ص. 189- 190.

4- حارش (م. الهادي)، **التاريخ المغاربي...**، المرجع السابق، ص. ص. 253- 254.

الرّومانية لم يتجسّد في أرض الواقع[1]، وكانت أقل اتساعا فيما كانت عليه زمن دقلديانوس[2]. وعموما، فقد توزّعت هذه العمارة على الشريط الساحلي لمدن إقليم طرابلس، وإن كان في الفترة البيزنطية قد اقترب أكثر من الساحل، ليتحول إلى الشمال الغربي مرتكزا على خط منطقة شط الجريد، ثمّ يصعد نحو قفصة وتبسّة، ومنها إلى نوميديا التي شملت الأوراس[3]، أمّا خطّ الدّفاع الثّاني فقد ارتكز على إحاطة جملة من المرتفعات الجبلية الفاصلة بين مقاطعتي البروقنصلية وبيزاكينيا[4]، ومراقبة الأوراس بالخط الدفاعي الذي يظم بغاي، خنشلة، تمقاد ولمبيز، أمّا هضبة المجردة فقد خضعت لشريط دفاعي ثالث بهدف حماية مقاطعة البروقنصلية[5].

– وجود اختلاف واضح بين نوعية وجودة العمارة الدفاعية الرومانية ونظيرتها البيزنطية التي وصفت بالهشة، رغم أن هناك من تحجج بضيق الوقت، الذي منع من التقيد بشروط البناء السليم، لأنّ الجيش البيزنطي لم يكن بمقدوره الاستقرار داخل أسوار المدن الرومانية بسبب تهديم غالبيتها من قبل جنسريق، وهذا ما جعلهم يبتكرون عمارة وفق إمكانياتهم وظروفهم. إلاّ أنّه لا يمكن تأكيد أو نفي الرأي، بحكم صعوبة معرفة حقيقة الخريطة العسكرية خلال الفترة الوندالية، بسبب غياب الدراسات إلاّ في بعض المواقع، وهذا ما يجعل المعرفة التاريخية غير كافية، وقد تكون مجرد حملة دعائية من قبل البيزنطيين ضد الوندال[6].

– يبدو جليا أنّ بيزنطة قد اعتمدت على نفس التقنية الرومانية من خلال العمارة الدفاعية، رغم أنّ التطبيق كان أفضل بالنسبة للرومان، وتتجلى هذه التقنيات من خلال:

* **تقنية الحجارة الكبيرة OPUS QUADRATUM:** ظهرت هذه التقنية لدى الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد، وقد ساعد المهندسون الإغريق على انتشارها، وهي تقنية منتظمة تعتمد على نحت الحجارة الضخمة، بشكل مستطيل مع وجود الشكل المربع كذلك، أمّا الكتل

الحجرية فتكون متقاربة من حيث المقاسات، ولا تتطلب استخدام الملاط بين الأحجار، وهذه التقنية منتشرة خصوصا في القلاع والحصون[7].

---

1– مفتاح محمد التاجوري، المرجع السابق، ص. 188.

2– **دقلديانوس:** 284– 305م، أصله من دلماتيا، كان حارسا شخصيا للإمبراطور نوميريانوس، قام بإحداث انقلاب بمساعدة ضباطه، للمزيد ينظر: Eric D Nelson, **l'empire Romaine**, préface Janes J. Claude, Marabout, 2008, p p 239- 240.

3- Diehl (CH.), op.cit.

4– **بيزا كينيا:** أنشأت هذه المقاطعة في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع م، يصعب ضبط الحدود. يعتقد أنّها تبدأ من قابس من وراء الشطوط، وتأخذ مسارا للطريق الرابط بين قابس وقفصة، ينظر: دريسي سليم، المرجع السابق، ص. 128.

5– عيبش (ي.)، **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي**، أطروحة دكتوراه، إشراف شنيتي، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، 2006– 2007، ص. 291.

6– عيبش (ي.)، المرجع السابق، ص. 289.

7- Adam (j.p.), La construction romaine matériaux et techniques, éditeur A et J. Picard, Paris,1993, p. 130.

* **التقنية الإفريقية Opus AFRICANUS:** نسبة للمنطقة التي ظهرت وانتشرت فيها، وقد نقل القرطاجيون هذه التقنية إلى مناطق أخرى من العالم القديم. تكون الحجارة الكبيرة وفق سلاسل عمودية، توضع بشكل أفقي أو عمودي على هيئة دعامات بشكل منتظم، أما الفراغ بين الدعامات فيملأ بالدبش[1].

* **تقنية المزج OPUS MIXTUM:** تقوم هذه التقنية على المزج بين تقنيتين مختلفتين لبناء الجدران، نجدها عموما في الجدران المبنية بالدبش[2].

1 -Ibid, p. 184.
2 -Martha (J.), **Manuel d'archéologie étrusque et Romaine**, imprimeur éditeur, Paris, 1853, p. 200.

**البيبليوغرافيا:**

**1- المصادر المعربة:**

بروكوبيوس، **-التاريخ السري- القرن السادس ميلادي، جانب من جوانب الإمبراطور جوستنيان، وزوجته تيودورا، وقائده المغوار بليزاريوس، وزوجته أنطونينا، صورة سيئة**، تر. صبري أبو الخير سليم، ط.1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001.

**2- المراجع العربية:**

- حارش (م. الهادي)، **التاريخ المغاربي السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

**3- المقالات العربية:**

- مناصر كريم،"**الحملة البيزنطية على مملكة الوندال بشمال إفريقيا**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 22، جامعة البليدة.

- عيبش (ي)، "**مقاومة المور خلال القرن السادس ميلادي**" المقاومة الجزائرية عبر العصور، ملتقى وطني، جامعة سطيف 2، 11- 12 ديسمبر 2012.

**4- الأطروحات الجامعية:**

- مفتاح محمد التاجوري، **التاريخ السياسي والاقتصادي لشمال إفريقيا أثناء حكم الإمبراطور جوستنيان 528-565م**، بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الإجازة العالية (ماجستير) في التاريخ القديم، إشراف أحمد محمد أنديشة، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، قسم التاريخ، ليبيا، 2007.

- عمروس ( ف)، الاضرحة الجنائزية الرومانية بالجزائر، دراسة معمارية و فنية ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار القديمة، إشراف أ.د. مصطفى فيلاح ، الجزائر، 2009- 2010.

- عيبش ( ي)، **الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي**، أطروحة دكتوراه ، إشراف شنيتي، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، 2006- 2007.

- دريسي سليم، **البيزنطيون في شمال إفريقيا – الاحتلال والعمارة الدفاعية**، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، إشراف أ. د. محمد البشير شنيتي، الجزائر، 2007-2008.

**5- المصادر الأجنبية:**

-Procope de Césarée, **La guerre contre les vandales, guerres de justinien**, liv. III, IV, traduit et commenté par de Roques (d.), paris, 1990, I-X.

**6- المراجع الأجنبية:**

- Adam (J. P.), **la construction romaine, matériaux et techniques**, éditeur A. et J. Picard, Paris, 1993.

- Delamare Ad. H., **exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840- 1845**, imprimerie nationale, paris, 1850.
- Diehl (CH.), **l'Afrique byzantine, histoire de la domination byzantine en Afrique 533-709,** Ernest Leroux éditeur, paris, 1996.
- Duvale (N.), **l'état actuel des recherche sur les fortifications de Justien en, Afrique**, 1983.
- Eric D Nelson, **l'empire Romaine**, préface Janes J. Claude, Marabout, 2008.
- Eric D Nelson, **l'empire Romaine**, préface Janes J. Claude, Marabout, 2008.
- Gsell (S.), **Les monuments antiques de l'Algérie**, tome 2, éditeur Albert fonte oing, paris, 1901.
- Martha (J.), **Manuel d'archéologie étrusque et Romaine**, imprimeur éditeur, Paris, 1853.

**7- المقالات الأجنبية:**

-Le Bohec (Y.), **«frontières et limites militaire de la Maurétanie Césarienne sous le haut empire, frontières et limites géographiques de l'Afrique du nord**», études réunies par Claude Lepelley, Xavier Dupuis, publication de la Sorbonne, Paris, 1999.